

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أسباب تخلف المسلمين

لو عدنا إلى القرآن الكريم :

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي)

[سورة النور : ٥٥]

المسلمون اليوم لا يعبدون الله، بل يؤدون الشعائر الإسلامية، يؤدون الطقوس بحسب فهمهم، ليس في الإسلام طقوس، في الإسلام عبادات، تؤدي العبادات الشعائرية، وترمي العبادات التعاملية وراء ظهورهم، لا صدق، ولا أمانة، ولا استقامة، ولا إنصاف، ولا عدل، ولا رحمة إطلاقاً، من البنية التحتية، دعك من الذي فوق، البنية التحتية، المجتمع الإسلامي في أدنى طبقاته ظلم أسري لا يعلمه إلا الله، ظلم الأزواج لزوجاتهم شيء لا يصدق، ظلم الآباء لأبنائهم، ظلم الآباء لبناتهم، ظلم رب العمل لعماله، هناك أخطاء فادحة نرتكبها، مع أننا نصلي، كيف توازننا أن نقوم بأعمال تخالف منهج الله عز وجل، تخالف العدل، تخالف الاستقامة، تخالف الرحمة، تخالف الإنصاف، ونصلي؟

حقائق مرّة ما لها من دافع :

١ - الله لا يغير نعمة قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم:

الله عز وجل يقول :

(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) .

[سورة الأنفال : ٥٣]

هذا هو الجواب القرآني .

٢ - المسلمون بين إضاعة الصلاة واتباع الشهوات:

جواب آخر :

(فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خُلْفًا أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا) .

[سورة مريم]

٣ - الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم:

جواب ثالث :

(إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) .

[سورة الرعد : ١١]

٤ - إن الله لا يمكن إلا ديناً ارتضاه للناس:

جواب رابع :

(وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ) .

[سورة النور : ٥٥]

وعد الله بتمكين الدين الذي يرتضيه لا فهماً سقيماً للدين، لا ديناً أساسه المظاهر، أساسه التباهي، أساسه الألقاب، أساسه الحفلات، دين الاستقامة، دين الخوف من الله، دين الالتزام، دين الوقوف عند حدود الله .

٥ - قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ:

هناك حقيقة : أن تقول : مَنْ فعل هذا بنا ؟ إياك، ثم إياك، ثم إياك أن تتهم جهة أخرى، تارة تقول : استعمار، وتارة تقول : صهيونية، وتارة تقول : تأمر الإمبريالية في العالم، تارة تقول : الموساد، قل : نحن، قال تعالى :

(قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ) .

[سورة آل عمران : ١٦٥]

(أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ) .

[سورة آل عمران : ١٦٥]

كن بطلاً وواجه الحقيقة، نحن المخطئون، كل الذي أصابنا بسبب أخطائنا لا تعزو خطأً للآخرين، الآخرون أعداء شأن العدو أن يستغل الفرص هذا شأنه، شأن أي عدو على وجه الأرض من آدم إلى يوم القيامة أن يستفيد من ضعف الطرف الآخر وأكثر قوة أعدائنا من ضعفنا من تفرقتنا، بربكم هذا الذي يحدث في فلسطين، إنسان يركب مركبة من القادة، فجأة يأتيه صاروخ، من أعطى العدو أن هذا الإنسان في هذه المركبة؟ إنسان في بيت فيقصف البيت، أكثر قوة العدو من معلومات نحن أعطيناه إياها، نحن مخترقون، هؤلاء الذين استطاعوا أن يذلوا جيش العدو لم يخترقوا، نحن مخترقون، كن بطلاً، وواجه الحقيقة، الأخطاء من عندنا، قال تعالى :

(أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ) .

[سورة آل عمران : ١٦٥]

٦ - أتهم نفسك، والعدو هو العدو:

لا تتهم أحداً، شأن العدو أن يهجم عليك، شأن العدو أن يستغل ضعفك، شأن العدو أن يمزق وحدتك، شأن العدو أن يستغل الفرقة، هذا الذي يحصل في العراق يومياً، مئة قتيل يومياً، قال تعالى :

(قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ) .

[سورة آل عمران : ١٦٥]

ليس الأوان أن نغطي أخطاءنا بالقضاء والقدر، ليس الأوان أن نبرر تخلفنا بمؤامرات خارجية، هذا شأن العدو، والعدو هو العدو، لا يتغير، ولا يتبدل، قال تعالى :

(قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ) .

[سورة آل عمران : ١٦٥]

في اللحظة التي نؤمن أن الذي يحصل في بلادنا من صنع أنفسنا، من ضعفنا، من تخلفنا، من فرقتنا، من تشر ذمنا، من أن بأسنا بيننا، من اختلافاتنا السخيفة ندرك حقيقة المشكلة وأسبابها .

ماذا أقول، والله هناك حقائق ما كنت أتمنى أن أقولها على منبر رسول الله، ولكن الحقيقة المرة أفضل ألف مرة من الوهم المريح .

٧ - ما أكثر المسلمين عدداً، وما أقلهم تأثيراً وإنتاجاً، وما أعظمهم تخلفاً:

المسلمون ربع سكان العالم، الإحصاء الدقيق مليار وخمسمئة مليون إنسان، صدقوا، ولا تتوهموا المبالغة : كان الواحد من أصحاب رسول الله الواحد بألف، بل بمليون، بينما المليون من هؤلاء المسلمين الغارقين في شهواتهم، وفي أنانيتهم، وفي حظوظهم، هؤلاء المليون منهم لا بواحد بل بأفٍّ، يكاد أهلنا في فلسطين يموتون من الجوع من الحصار، ليته حصاراً أمريكياً، ليته حصاراً إسرائيلياً، هو حصار عربي، لا طعام، ولا شراب، وهم صابرون، وصامدون، والمطاعم عندنا ممتلئة، والناس في بحبوحة .

ما الذي حصل ؟ شيء لا يصدق، المسلمون يساؤون ربع سكان العالم، لكن حصتهم من الثروة العالمية ٦% فقط ربع سكان الأرض بيدهم ٦% من ثروات العالم، ثلثا فقراء العالم الذين يعيشون في أقل من دولارين يومياً من المسلمين، لا يوجد بلد إسلامي واحد من البلدان الثلاثين التي صنفت على أنها أغنى ثلاثين دولة في العالم، ولا بلد إسلامي مع أغنى ثلاثين بلدة في العالم .

عندي إحصاء شركة سيارات يابانية أرباحها السنوية تساوي الدخل القومي لدولة عربية إسلامية تعد سبعين مليوناً، الدخل القومي بكامله لشركة واحدة أرباحها تزيد على الدخل القومي لبلد عربي إسلامي يعد سكانه سبعون مليوناً، هناك تخلف كبير، عندنا شباب، عندنا ثروات، عندنا موقع اقتصادي، قبل أن تحاول نشر الإسلام في العالم أصلح ذات بينك، أصلح مجتمعك ألغ الفقر، هيئ فرص العمل .

خمسون ألف منتج من الطراز الأول ليس في بلاد المسلمين بلد واحد يملك من هذه المنتجات منتجا واحداً، كلها من بلاد أجنبية .

٨ - المسلمون أكثر الناس مديونية وفقراً:

مديونية الدول الإسلامية تقدر بمئات المليارات من الدولارات، الاكتفاء الذاتي عند المسلمين ينخفض بشكل مستمر، الفرد المسلم يعيش متوسط حياة أقل بعشرين سنة من متوسط الحياة في البلاد الغربية، مرض، وفقر، وجهل .

٩ - هذا هو حال الشباب المسلم في البلاد الإسلامية:

أعلى نسبة مدخنين في العالم في البلاد الإسلامية، وأعلى نسبة أرباح تجنيها معامل الدخان من البلاد الإسلامية، ٤٠% من الشباب المسلم المتعلم الذين يحملون شهادات عليا لا يحصلون على مهنة لائقة في بلدانهم، لذلك يهاجرون، أينما ذهب تزد المهاجرين من المسلمين بالملايين، البطالة في العالم بين أربعة وخمسة وستة، البطالة الصارخة عند المسلمين ٢٠% والبطالة المقنعة يعني دخل رمزي لا يكفي صاحبه خمسة أيام ٦٠%، والله في حالات فقر في بلاد المسلمين يندى لها الجبين، والله هناك من رأى رأي العين أناساً يشترون أرجل الدجاج فقط، هذا طعام الكلاب فقط .

١٠ - كل المسلمين مسؤولون في انتشار الفساد والأمراض:

أين نحن، قبل أن تنتشر دينك في الآفاق أصلح شأنك الداخلي، انظر إلى هذه الأمة، كل واحد منا مسؤول، إياك أن تلقي التهمة على جهة واحدة، هذا كلام فارغ، كل واحد منا مسؤول، هذا الفلاح الذي يشتري الهرمون الممنوع عالمياً يشتريه تهريباً لينمي ثمره، ويسبب السرطان للناس، هذا إنسان مسؤول أيضاً، الدواء ممنوع، لكنه يشتري تهريباً، وتبخ به النباتات كي تنمو الثمرة ليكون البيع بسعر أعلى، هذا إنسان يسهم في تخلف الأمة وانتشار أمراض، بعض الأدوية ترش على بعض الفواكه، من يأكل هذه الفواكه، قبل ستة أشهر من مضي الرش قد يصاب بالسرطان، نسب السرطان مرتفعة بعشرين ضعف أيها الإخوة .

أنا كنت في الخمسينيات كل سنتين أو ثلاث أسمع بواحد أصيب بالسرطان، الآن كل أسبوع أسمع ممن حولي بإنسان أصيب بالسرطان، من هذه الأدوية الكيماوية، من الخطأ في حياتنا، من الماء الملوث .

١١ - انتشار نسبة العازفين عن الزواج والعزّاب:

فيما يتعلق بالزواج ٤٠% من الفتيات دون العشرين غير متزوجات، النسبة الحقيقية ٥٠% من نساء هذا البلد الطيب من دون زوج، ٥٠% من نساء سوريا من دون زوج .

هذه حقائق، هذه حقائق دقيقة جداً اجتماعية، اقتصادية، صحية، تعليمية، مهنية .

١٢ - النهوض بالأمة كلٌّ بحسب موقعه:

ما لم ننهض كل واحد يقدر بعمله، واختصاصه، أن يخدم هذه الأمة، بإتقان عمله، إعطاء سعر معتدل، معاملة طيبة، أنت باختصاصك يمكن أن تسهم في قوة هذه الأمة، لا أطالبكم فوق ما تستطيعون، كل واحد

مسؤول عن بيته وعن عمله، الفتيات اللواتي في الطرقات كاسيات عاريات، معظمهم من بيوت مسلمة، ومعظم آبائهم في رمضان يرتادون المساجد، كيف سمحت لابنتك أن تثير الشهوات في الشباب؟ التقاليد الغربية، ومصممو الأزياء آلهة لنا آلهة، نحن تحت رحمتهم أي شيء يفعلونه نفعله .

والله في هذا المسجد جاءني شاب مبعوث من قبل والده، نظرت إلى بنطاله، فإذا فيه ثقوب، والله رفقت له، وكتبت عندي في مذكرتي أن أهين له بعض الألبسة، فإذا به ابن إنسان غني، لكن هذا بنطال فيه ثقوب موديل جديد، لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه، الآن البنطال فيه رقع، وفيه ثقوب، لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه، هذه أمة هذه؟

١٣ - لا بد من مواجهة الحقائق المؤلمة:

تعودوا الكلام المر، واجهوا الحقائق المؤلمة، كفانا أن نقول : نحن أمة عظيمة، الآن لسنا عظماء، الله عز وجل قال - وقيسوا على ذلك - :

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ) .

[سورة المائدة : ١٨]

ردّ الله عليهم فقال :

(قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ) .

[سورة المائدة : ١٨]

نحن أمة ليس لنا ولا ميزة أبداً إطلاقاً، لا تقل : نحن أمة مختارة، لقد كنا مختارين، لا تقل : نحن أمة رسول الله، لا تقل : نحن الأمة المفضلة، لا تقل : نحن خير أمة إطلاقاً، هذا كلام لا يقال أبداً، أنا لا أريد أن أحطم معنوياتكم، لا والله، لكن أريد أن أوقفكم، كفانا مديحاً بأنفسنا، كفانا تغطية لأخطائنا، كفانا أن نلقي كل أخطائنا على جهات أخرى، نحن المخطئون، لا تقل : من المسؤول؟ كلكم مسؤولون، أنت حينما تقول لابنك وقد طرق الباب طارق فيقول : أبوك في البيت؟ تقول له : قل له : لست في البيت، أقلّ شيء علمت ابنك الكذب، وأنت أبوه،

الإنسان الذي يكسب المال الحرام فيمدح في المجتمع شاطر، المجتمع ساهم بتكريس هذا العمل، الإنسان المنافق الذي يتلون بألف لون يسمى في المجتمع لبقاً، المجتمع ساهم بتكريس النفاق .

١٤ - كيف نواجه العالم ونحن في هذه الحال:

يجب أن نصحو من غفلتنا، يجب أن نصحو من سباتنا، ماذا أقول في الجهاد؟ ننشر الإسلام، الناس لا يقتنعون بالإسلام إذا كان المسلمون متخلفين، لا يقنعون بالإسلام، وبأس المسلمين بينهم، هذه أخبار ما يجري في العراق وفي العالم، ما موقفنا؟ مسلمون، مساجد، ومصاحف، وصلاة، كل يوم يوجد مئة قتيل مع التعذيب، يوماً، هؤلاء مسلمون؟ كيف تواجه العالم؟ كيف تريد أن تنشر هذا الدين في العالم الغربي؟ أنا لست متشائماً، لكن أحب الحقيقة المرة أفضلها ألف مرة على الوهم المريح .

١٥ - مع كل هذا فهناك إيجابيات:

أيها الإخوة الكرام، بطالة، فقر، تخلف، لا أقول: ليس هناك إيجابيات، التعميم من العمى، لكن الإيجابيات لا تكفي كي نهض، حجم الإيجابيات أقل مما يكفي لأن نهض كأمة ننشر هذا الدين العظيم .

١٦ - ليس للمسلمين نفوذ في العالم:

بعض ما في الحقائق لا يتمتع العالم الإسلامي إلا بنفوذ ضئيل جداً في التأثير على السياسات العالمية، العالم الإسلامي بكامله ربع سكان الأرض يملكون أضخم الثروات لا يستطيعون التأثير في السياسة الدولية، أن نوقف اجتياح، أن نوقف حصار اقتصادي، لا نستطيع، تحت سمعنا وبصرنا تنتهك حرية الإنسان، عشرة آلاف أسير، أربعمئة طفل منهم، وأناس مصابون بأمراض وبيلة من الأسر، لا أحد يستطيع أن يقول كلمة أبداً .

إذاً: لا نملك نفوذاً سياسياً نغير القرار الدولي .

١٧ - أكثر النزاعات في العالم في البلدان الإسلامية:

من أبرز ثلاثين نزاعاً محتوماً في العالم نزاع كشمير والهند، السودان وفرنغ، ثلاثون نزاعاً في العالم ثمانية وعشرون منها في العالم الإسلامي، من ثلاثين نزاعاً في الأرض كلها الخمس قارات ثمانية وعشرون منها في العالم الإسلامي، في العقود الثلاثة الماضية مات من المسلمين مليونان ونصف مليون شخص بالحروب، خير البارحة حتى الآن مات من شعب العراق ستمئة ألف إنسان حتى الآن، الحرب الثانية، وليس الأولى، مجموع ضحايا المسلمين في ثلاثة عقود مليونان ونصف، ثلثا المسجونين في العالم من المسلمين، ثمانين بالمئة من أحكام

الإعدام في العالم في دول إسلامية، وثمانون بالمئة من اللاجئين في العالم من المسلمين، لا تنزعجوا، هذه الحقيقة، إلى متى نحن غافلون؟

أنا لا أطلبكم إلا بما تستطيعون، أصلح بيتك، أتقن عملك، كن صادقاً في عملك، قدم سلعة جيدة، لا تغش، لا تكذب، لا تحتال، رب أولادك، اعتن بأولادك، هذا شيء تستطيعه أنت، أنا لا أطلب إلا بما تستطيعه، أنت مسلم، وأنت مؤمن، ساهم بقوة أمتك، ساهم بتخفيف متاعبها، حل بعض مشكلاتها، كل الدول التي عانت من انهيار، وأصبحت دولاً عاجزة تنتمي للعالم الإسلامي، أقلّ البلاد في العالم استثماراً في ميدان البحث العلمي والتقنية وخدمة المعلومات في بلاد المسلمين .

١٨ - خلاصنا بأيدينا:

الحديث طويل، والتقرير طويل، لكن أردت أن أوقف النفوس، نحن لسنا كما تتوهمون، نحن لسنا أمة مفضلة عند الله، نحن كأية أمة متخلفة، لا شأن لنا عند الله إطلاقاً إلا بقدر طاعتنا له، إلا بقدر تعاوننا، إلا بقدر تماسكنا، إلا بقدر إخلاصنا، إلا بقدر التزامنا، والكرة في ملعبنا، وإن تعودوا نعد، وخلصنا بأيدينا، ولا أكتمكم أننا حينما شارفنا على اليأس أرسل الله لنا رسالة عملية، حيث إن قلة قليلة استطاعت أن تذلل كبرياء أقوى جيش في المنطقة، هذه رسالة من الله، أن يا عبادي، أنا موجود، الأمر بيدي، فقط كونوا معي، وانظروا ماذا سيحصل، قلة قليلة استطاعت أن تذلل أقوى جيش في المنطقة بكبريائه، بغطرسته، بعناده، بسلاحه الجوي، بمدركاته، إذا كان الله معك فمن عليك؟ إياكم أن تقنطوا من رحمة الله، خلاصكم بأيديكم .

خلصنا ليس بقرار من أمريكا، ولا بقرار من إسرائيل، ولا بقرار من حكمانا، خلاصنا منا نحن، هذه البنية التحتية، هذا الإنسان العادي إذا أخلص لله، وتاب إليه، وأتقن عمله، وربى أولاده، أنت كذا، وأنت كذا، يكون هناك قاعدة صلبة منها يبدأ التقدم والنمو .

١٩ - هذه هي صورتنا في الإعلام الغربي!!!:

سامحوني، لعلني قسوت في هذه الإحصاءات، ولكنها عين الحقيقة و الله، ماذا أقول في الجهاد؟ نريد أن ننشر الإسلام، ونحن مفضوحون أمام العالم، ولاسيما في هذا التواصل الإعلامي، يقتل بعضنا بعضاً، والإعلام الغربي بارع جداً في تشويه صورتنا، تصور عند الغربيين وحوش، جهلاء، متخلفون، قتلة، إرهابيون، لذلك يبيحون لأنفسهم إبادتنا .

٢٠ - طريق الاستفزاز:

دققوا، لقد جاؤوا بامرأة في كنيسة خطبت خطبة الجمعة، وأمّت في الصلاة، كان هناك خمسون مصلياً، وخمسون مندوب وكالة صحفية إخبارية، إنه استفزاز، ثم دنسوا المصحف، ثم شوها صورة النبي، ثم جاء (البابا) بتصريحاته الأخيرة، ثم عادوا بالدانمرك، وأعادوا صور رسول الله مرة ثانية، وطّنا أنفسكم أن كل عشرين يوماً استفزاز، لأننا ضعاف، لكن حينما نتعاون، ونتماسك، ونصمم على أن نقف صفاً واحداً كانوا لا يعدون ولا رقماً إن أرادوا مهاجمتنا، الآن يعدون للعشرة، لاحتمال أن نضربهم، هذا التطور الجديد لم يكن من قبل، لو تابعنا الإعداد والقوة والتلاحم فيما بيننا، والتعاون والتعاقد لعل ما سيكون وفق قوله تعالى :

(إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ) .

[سورة النساء : ١٠٤]

٢١ - هناك تغيير في موازين القوى يجب استغلاله بالتوبة والعمل الصالح:

آخر تجربة للمسلمين مع العدو الصهيوني تؤكد أن الله موجود، وأن الأمر بيده، وأنه بيده موازين القوى والمعادلات، كله بيد الله عز وجل، فاصطلح مع الله، أنب إليه نحن في رمضان، اعقد توبة نصوحاً، احمل هم المسلمين، علم أولادك، رب أولادك، ماذا أقول؟ الحل بأيدينا، بأيدينا فقط، بأيدينا نحن البنية التحتية فقط، المسلم حينما يصدق يكون قوياً، واستقيموا يستقم لكم، والأمثلة لا تعد ولا تحصى .

منقول عن: خطبة الجمعة - الخطبة ١٠٢١ : أسباب تخلف المسلمين .

لفضية الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٦-١٠-١٣ | [المصدر](#)